

النشاط الثقافي في الوطن العربي "الآداب"

ج.ع.س

من مراسل «الآداب» محيي الدين صبحي

شيء لاطفالنا ...

من الأفضل ان نضعف الى ما لا نهاية وسائل العناية بأطفالنا ، ما دام كل جيل يتخلى عن تبعاته ويلقيها على الاجيال التالية ، متاكداً بيقين لا يدعاه أي سند من بينات الوقائع القائمة ، بأن لا بد من ان تتحقق في المستقبل آمال الأمة في الوحدة والحربة والاشتراكية ، حتى ولو لم يساهم أي جيل في التنازلات الحتمية لاية وحدة من أي نوع . من الأفضل ان نعد أطفالنا منذ الآن لاننا لم نجد من يعدنا ولا اجندا - نحن العرب - العناية بأنفسنا لمجابهة الاخطار الحيقية بنا من كل جانب : ومن انفسنا بالدرجة الاولى .. وهذا ما يدعوني الى الحديث عن « مسرح العرائس » ومجلة « اسامة » باعتبارهما الشبيبين الوحيدين اللذين يستحقان الحديث في صدد البحث عما نقدمه لاطفالنا - ما دام التعليم النظري ما زال يفتق على مؤسساتنا التربوية بحيث نضع ، عن عمد ، مستقبل أطفالنا ونخلق منهم شبانا يحملون شهادات لا تصلح لشيء !

مضت عشرة اعوام على تاسيس مسرح العرائس . فقد تأسس عام ١٩٦٠ بأشراف ثلاثة من الخبراء اليوغوسلاف . ويسند ان يوغوسلافيا قد اخلصت النصح لسوريا ، اذ ان احد هؤلاء الثلاثة - المخرج بوجو كوكوليا ، وهو ايضا خبير في فن تعريك العرائس - كان احد اثنين من ابرز المخرجين في العالم في مهرجان مسرح العرائس الذي اقيم في سرب عام ١٩٦٩ .

لم يعمل الخبراء اليوغوسلاف سوى عام واحد اخرجوا خلاله سبع مسرحيات مع اعداد الدمى والديكور والاشياء والتعريك - بعد عام ١٩٦٠ حصل الانفصال ، وقرر المسؤولون آنذاك ان لا حاجة لهم بخبرة اليوغوسلاف فعاد هؤلاء من حيث أتوا ..

انهي عمل الخبراء قبيل ان يستطيع هؤلاء الاصدقاء ان يهيئوا الكادر الذي يستطيع ان يسير بالمسرح سيرا طبيعيا ، وقبل ان يرسل أي شخص للتخصص في الاخراج لمسرح العرائس او صناعة العرائس او تعريكها . كما ان الفنيين الستة الذين لازموا الخبراء وتعلموا قليلا منهم ، شئتوا في مجاهل وزارة الثقافة فحصرم مسرح العرائس من الاستفادة من خبراتهم ما عدا واحد ارسل للتدريب في مسرح العرائس في القاهرة لمدة ستة اشهر . ولم يستطع المسرح ان يوظف خبرات هذا الموفد بسبب انشغاله بتبديل الديكورات اثناء العرض واصلاحها وقطع غيارها لعدم وجود من يقوم بهذا العمل ..

من هذه المقدمة السريعة نستطيع ان نأخذ فكرة عن حالة مسرح العرائس والمستوى الفني للفنانين بشؤونهم ، اذا اضفنا ان المتدربين « القدماء » هم الذين يدربون المختصين « الجدد » ، مع النص بأن معظم القدماء تركوا عملهم ، وبأنه لم يجر انتقاء القدماء ولا الجدد على أي اساس من موهبة او ثقافة او تدريب متخصص !

ظل هذا المسرح المسكين تسع سنوات بعد انشائه ينتقل على مسارح المدارس المختلفة دون ان يجد من يجد له مقرا يستطيع ان يباشر عمله فيه بشكل جدي ثابت ومتواصل .

في عام ١٩٦٩ استولت وزارة الثقافة على فيو فسيح في معهد الحرية وحولته من مستودع للمقاعد النالفة الى مسرح للعرائس - ونم ذلك بمنحة من السيد رئيس مجلس الوزراء قدم فيها عشرين الف ليرة لاعداد المسرح وتجهيزه على قدر الامكان ، كما ساهمت وزارة الثقافة بشراء الاوائل الفنية الضرورية - لكنه مع كل ذلك ما يزال يحتاج الى طبقة عازلة في ارضه وسقفه مع تجهيزات اضاءة وتهوية واطفاء ومولد كهربائي .

بعد اعداد المسرح هذا الاعداد المتواضع ، نجح نجاحا يكاد يكون اسطوريا . وسبب ذلك يعود الى بادرة طيبة وان كانت قليلة المثال . ذلك ان وزارة التربية تعاونت مع وزارة الثقافة : نظمت ادارة المسرح حفلتين صباحيتين للطلاب ، وربت لادارات المدارس الابتدائية ادوارا لكل مدرسة ، بحيث يظل المسرح مليئا على الدوام كما ان كل مدرسة تعرف الوقت المحدد لاطفالها . وجعل تمن تذكرة الدخول (٢٥ ق. س) مع تنازل وزارة الثقافة عن ٢٠٪ من الكراسي مجانا للاطفال المعلمين الذين لا يستطيعون الدفع - مع العلم بأن المبلغ زهيد جدا اذا أخذنا في اعتبارنا ان الطفل يرى المسرح مرة واحدة في العام اذا اقتصر مجيئه على مرافقة مدرسته في دورها - وان كان تأمين باصات لنقل الاطفال يقع حاليا على ادارات المدارس ، وبما حذا لو اشترت وزارة الثقافة باصين كبيرين لهذه الغاية ، خاصة وان المدارس في ضواحي دمشق واطرافها المتعددة اكثر عددا من مدارس العاصمة نفسها . وهذا ما يجعل دمشق قادرة على ان تستوعب مسرحين بدلا من المسرح الواحد . فاذا علمنا ان الاقبال في المحافظات اكبر من الاقبال في العاصمة أدركنا شدة الحاجة الى تحقيق الشعار « مسرح للعرائس في كل محافظة وفي كل قضاء » . وقد نظم المسرح جولات سنوية مسج خلالها أنحاء القطر بأكمله وعرض حفلات في الهواء الطلق حضرها الطلاب في الباحات والريفين من على السطح . وهذا ما يؤكد الظاهرة التي تكررها كل الكتب المكرسة للموضوع ، من ان مسرح العرائس يخفته وفقرته على التنقل وروح الدعابة فيه يمكن ان يتفلق السى اعماق اعماق الريف ويعالج اخطر الموضوعات ، مما يجعله عاملا ممتازا من عوامل التوعية وخاصة في الدول المتخلفة ، لذلك تستخدمه الجمهورية العربية المتحدة على نطاق واسع ، وتعنى به الدول الاشتراكية اشد العناية . وهناك ملاحظة خاصة ، هي ان مسرحنا اخف من المسرح المصري لانه يعتمد على عرائس القفاز وليس على عرائس الخيطان ، لسهولة حركة الاولى فضلا عن قلة نفقات التجهيزات واكلاف السفر ، اذا فارتاه بتجهيزات المسرح العادي وممثليه . كما ان التدريب على مسرح العرائس اسهل نسبيا من جميع انواع التسلية - التثقيف الاخرى ، مما يجعل تعميمه في الريف امرا واردا. وذلك بتدريب المعلمين الريفيين على بعض المسرحيات .

فاذا اضفنا الى ذلك كله ان مسرح العرائس ارض مسرح فني في العالم تبين لنا شدة حاجتنا اليه . ويعود رخص اكله الى ان اية مسرحية من مسرحيات العرائس لا تستهلك استهلاكاً كاملاً ، بالمعنى الذي تستهلك فيه بقية السلع المعروضة على المتفرجين ، فالمسرحية تبقى محفوظة في المستودع وجاهزة للعرض مسا دامت الدمى موجودة بملابسها وديكوراتها . وهذا لا يتيح فقط امكانية عرضها في محافظات اخرى ، وانما يمكن عرضها هي ذاتها على المسرح ذاته بعد خمس سنوات من عرضها الاول ، باعتبار ان الاطفال يكبرون ويأتي بدلا منهم « جمهور » جديد . كما ان بإمكان أي لاعب ان يؤدي أي دور بشيء بسيط حسن التدريب والتلقين .

هذا هو مسرح العرائس في دمشق ، وهذه هي ازمته ، وهذه هي

امكانياته . اما كيف يمكن تطوير المسرح وحل ازمته واستغلال امكانياته ، فالطريق الى ذلك واضح من خلال عرض المشكلة . ان النقص فسي الفنيين يمكن ان يعالج بانتقاء عناصر موهوبة فنياً وإيجادها للتخصص والإطلاع . ويمكن ان يرصد المبلغ اللازم لذلك بالتعاون مع وزارة التربية ومع هيئة الإذاعة والتلفزيون .

والحقيقة ان الاموال التي تنفقها الهيئة على برامج الاطفال فسي الاذاعة والتلفزيون بحاجة الى اعادة نظر من حيث التوزيع : فالتلفزيون يقدم يوميا نصف ساعة « كرتون » من اعداد محلي واجنبي . لكن مسرحيات العرائس التي يقدمها التلفزيون تنصف اجمالا بالركافة ، على الرغم من ان مقدميها افراد يعملون في مسرح العرائس . ويكاد ضعف البرنامج ان يكون شاملا من حيث الموضوع والاخراج وتناسق الدسسى - يتساوى الفيل والارنب في الحجم احيانا - وفسي مستوى تحريك اللعبة بحسب الحوار . ولا ريب في ان سبب ذلك السرعة في الانتاج وسوء اعداد اللاعبين ، فينما يخفي المسرح عيوب اصواتهم خلال جوه والالوان والاصواء ، يبرز التلفزيون هذه العيوب ابرازا فاضحا . ويمكن للتلفزيون - الفني نسبيا - ان يساهم في تطوير مسرح العرائس بأن يستخدم على نفقته خبيرا او خبيرين في هذا الفن يقومان باعداد لاعبي وزارة الثقافة لمصلحة التلفزيون . كما ان على التلفزيون ان يفيد من مسرحيات العرائس في وزارة الثقافة . والخلاصة ان التنسيق الذي تم بين الثقافة والتربية فكان من عوامل انجاح المسرح ، يجب ان يكرر بصورة اشد بين الثقافة والتلفزيون .

بقى اخيرا مشكلة النصوص وكتابتها ، وهنا ، كالعادة ، تفتعل ازمة لا محل لها في الظروف الحرجة لمسرح العرائس : فبالرغم من اننا امة تفكر الى ادب الاطفال والتخصص فيه وانشاء تقاليد له ، فان وزارة الثقافة تدفع لكاتب نصوص الاطفال اقل مما تدفعه لاسعار المسرح العادي ، اما هيئة التلفزيون فتدفع نصف سعر المسرحية العادية . بالطبع ، ان من يقومون بهذا الاجراء يحتجون له بصغر حجم العمل الفني بالمقارنة مع المسرحيات الكبيرة ، وفلة الوقت و . الخ غير اننا اذا حكمنا ايسر فوائين العرض والطلب في موضوع مسرح لا يجد نصوصه، نجد ان من مصلحة الوزارة والتلفزيون رفع التسعيرة ، الى اعلى حد ممكن بحيث يمكن اجتذاب الكتاب والحصول منهم على النصوص الجيدة المطلوبة . فمن نافل القول ان نعيد بأن كل عمل المسرح يعتمد على النص المشوق الجيد التوجيه ، وبأن من يضع النص من حيث الاهمية في كفة والمسرح كله في كفة اخرى لا يخطئ الحساب كثيرا . ان تسليم المحاسبين تقييم الاعمال الفنية اهمال من كل مسؤول لواجباته في تحكيم ثقافته ومعرفته بالحاجة الملحة في المسرح السى نصوص . ان الكتابة والفكر في هذا البلد بحاجة الى اعادة تقييم شامل من وجهة نظر حاجة المجتمع والمؤسسات الثقافية الى من يتابعون تفديتها بابداعهم وفهمهم . اما هذه النظرة المحاسبية فلا تؤدي الا الى انصراف الكتاب عن الانتاج وبالتالي تجميد المسرح وتفتيحه واقتناره على النصوص المترجمة - ان وجد من يجيد الانتقاء .

ان ازمة الكتاب لا تقتصر على المسرح عامة او مسرح العرائس خاصة ، بل تشعب بحدة على مجلة « اسامة » التي انتهت عامها الاول بنجاح ليس له مثيل فعلا . فهسي تطبع خمسين الف نسخة دون مرتجات ! وتستلم يوميا اكثر من خمسين رسالة من قرانها الصغار ، مع العلم بان كل نسخة مباعه تقرا من اكثر من اربعة اطفال ، ولو تمكنت وزارة الثقافة من شراء مطبعة ملونة خاصة بها لتضاعف المبيع دون اية مبالغة . ومع ذلك فالجدة تعاني فقرا حادا في ادب الاطفال بسبب عدم وجود هذا النوع من الادب قبل صدورهما ، ولان عدد الكتاب في سوريا قليل اجمالا بالنسبة الى المؤسسات الثقافية الكثيرة التي تتناهمهم ، ولو انها لا تعاملهم المعاملة التي يريدونها . المهم ان البيئة الثقافية لا تمتلك تقاليد ولا اهتمامات بادب الاطفال . وكل فكرة لنا عن الموضوع هي من احتكاك الكتاب بالسابقات المصرية ، وان كانت مصر بالذات تعاني

من هبوط في مستواها الذي كانت عليه قبل عشر سنين او اكثر . لكن الفريب في الامر ان جودة هذا الميدان لم يفر الادباء على افتتاحهم . فما عدا القصص زكريا تامر الذي اعطى في هذا الحقل انتاجا متنوعا، نكاد لا نجد اسما ثانيا يثار على المشي في هذا الطريق الجديد . غير ان المجلة اذا لم تستطع ان تجعل من الادباء كتاب اطفال فقد نجحت في تقديم رسامين مشهورين تقديما جديدا ، بحيث ان رسوم نذير نجمة او نعيم اسماعيل او ممتاز بحرة هي رسوم متخصصة بالاطفال على ارفع مستوى - فضلا عن ان المجلة كشفت موهبتين لا سابقة لهما في هذا الحقل ، وهما الفنانان غسان السباعي وطه الخالدي . بل ان تأشير المجلة في القطاع الثقافي باكملة يفوق مايعترف به العاملون في هذا القطاع ، فهي - كما لاحظ رئيس تحريرها الكاتب المسرحي سعد الله ونوس - قد اضطرت الكتاب لمراجعة عاداتهم الفكرية والتعبيرية ، وكانت حافزا لان تكشف أهمية قطاع الطفولة في تكوين مجتمعنا . ذلك ان مئات الرسائل ترد اثر صدور كل عدد تستعرض بدفة متناهية كل هفوة لغوية او فنية مع استفسارات من الذكاء بحيث تكشف مدى دقة الطفل المتلقي وحساسيته . بله انها تكشف لنا الى أي حد نجزم في حق اطفالنا حين نعرضهم للتأثيرات الضارة من الاذاعة والتلفزيون والصحافة . ان هذه النواقص المتعددة يجب ان تكون وسيلتنا لتعيد تشكيلنا الفكري ومسؤوليتنا تجاههم . لقد نجحت المجلة في خلق خط فكري متبلور يمكن تلخيصه بأنه يهدف الى خلق جيل عربي تقدمي ذي نظرة علمية ومعرفة بالتاريخ دون تهويل . كما انها تحاول ان تخلق عند الطفل عادة المحاكمة النقدية من خلال ربط وعيه ببيئته وظروفها ومشكلاتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية . ان هذه الخطوط الصعبة العريضة تضغط على العاملين فيها وتجعلهم يستشعرون بالتقصير حين يقارنون بين ما يمكنهم تحقيقه وبين ما يصبون اليه .

ان مشكلة الطفل في سوريا هي انه محاط باطار متخلف سواء افي البيت أم في المدرسة ، ففي شعب متخلف تسوده السلطة الابوية الجاهلة ، غالبا ما تكون المدرسة ليست افضل من البيت ، لانخفاض سوية المعلمين الابتدائيين وضعف تأهيلهم : فمعظمهم من حملة الشهادات الاعدادية أو الثانوية أو حتى من خريجي معاهد اعداد المعلمين من الذين يتطلعون الى استثمار مبكر لمعارفهم البسيطة . المطلوب من المجلة ان تساعد الطفل على تجاوز كل هذا بتتمية ملكات الفهم والحكم والنقد لديه ، تمهيدا لدفعه الى الثورة على آثار تربية متخلفة وتعليم قاصر يعتمد الكمية ويكاد ان يهمل النوعية . وانها لرسالة ينوء بعثها جهاز المجلة - يقتصر على محررين فقط ! - كما يترنج تجاهها اخلاص الكتاب الذين يعملون كيف يكتبون للاطفال دون ان يصلوا حتى الان الى مرحلة انشاء حوار بينهم وبين الاطفال . اننا في كتاباتنا لهم مازال كبارا يتحدثون الى كبار بشكل مبسط . ولردم هذه الهوة يجب ان نتسع مشاركة الكتاب وتزيد شيئا فشيئا حتى ينشأ الكاتب المتخصص للمجلة والكاتب المتخصص للمسرح .

محيبي الدين صبحي

دمشق

فلسطين

كتب الشاعر محمود درويش في مجلة « الجديد » التي تصدر باللغة العربية في حيفا يتحدث عن محاولات اللقاء التي تجري بين الادباء العرب والادباء المصريين في الارض المحتلة ، وكان مما قاله : لقد شعرت « منظمة الكتاب المصريين » ، لعدة اسباب ، انها ماضية في ممارسة اثم ادبي . الرأي العام في الخارج يتساءل عن وضع المواطنين العرب في اسرائيل وعن وضع ادبائه . انهم يتجولون - بحرية - بين الاعتقال والاعتقال المنزلي واوامر الافامة الجبرية ! ويصرخون ويحتجون ، ومنظمة الكتاب الرسمية في البلاد لاتعرف او لا تريد ان تعرف شيئا . وقبل مدة ، بادر عدد من الكتاب العبريين

الإقامة الجبرية لمحمود درويش

نشرت الصحف العربية في إسرائيل ان الشاعر محمود درويش تلقى امرا جديدا من قائد المنطقة الشمالية في إسرائيل الجنرال مردخاي غور يفرض عليه الإقامة الجبرية في حيفا نهارا والاعتقال المنزلي ليلا واثبات الوجود في مركز الشرطة في الساعة الرابعة من بعد ظهر كل يوم ، ويخول الشرطة حق « زيارته » في اية ساعة تشاء من ساعات الليل !

ومدة هذا الامر ستة شهور ونصف تبدأ من اول آذار ١٩٧٠ . والجدير بالذكر ان امر الاعتقال المنزلي السابق ضد محمود درويش والذي كانت مدته تسعة اشهر قد انتهى في اول آذار الماضي ...

الانسانيين الى اجراء حوار في حيفا ، مع الادباء العرب المضطهدين . وكانت للحوار اصداء واسعة قد يكون احدها مبادرة منظمة الكتاب العبريين الى الاجتماع بالكتاب العرب حول مائدة مستديرة حافلة بالشرب والسندويتشات في « بيت الاديب » في تل ابيب .

من المكاسب التي احرزتها مبادرة منظمة الكتاب هو انها استطاعت ان تصدر لنا بصريح سفر الى تل ابيب . وكان ذلك فرصة لتصدر احد الكتاب الساخرين فكتب ان الحكم العسكري قد الفى ليوم واحد . وجاء الكتاب العرب الى تل ابيب التي بنو لهم كما تبدو باريس للاسرائيليين . ولعل فدرة منظمة الكتاب على اناحة هذه الفرصة النادرة لنا من بين الاسباب التي دفعتها الى اتخاذ قرار بكتابة رسالة احتجاج الى رئيسة الحكومة تحتج فيها على اوامر الإقامة الجبرية المفروضة على الكتاب العرب .

كان ذلك هو النتيجة العملية الوحيدة التي اسفر عنها حوار شديد الفسوة والصراحة استغرق خمس ساعات اتفقنا بعدها على الا نتحدث عن امكانية الاتفاق ، والا نلحم به ما دامت امامنا صفوف طويلة من الخلافات الفكرية والايديولوجية العميقة .

لماذا ؟

ان نوعية الجانب اليهودي من الاجتماع ، في غالبيتها ، صهيونية بلا مواربة . وتؤمن حتى النخاع بحتمية السيادة اليهودية المطلقة على فلسطين . وبعد ذلك ، لامانع لديها في ان يتمتع السكان العرب في إسرائيل بالمساواة في الحقوق . وهي ترى ان المسؤولية عن استمرار الصراع العربي الاسرائيلي الدامي لا تقع على السياسة الاسرائيلية - الصهيونية المتكررة لحقوق الشعب العربي الفلسطيني والتطلعة الى التوسع الاقليمي . المسؤولية كلها تقع على تنكر العرب لحقوق الشعب اليهودي وعلى رفضهم الاعتراف بالسيادة اليهودية المطلقة على فلسطين . والكثيرون من هؤلاء الادباء يريدون اختصار واقعية الاديب العربي بالتسليم للامر الواقع والكف عن التمسك بحقوق شعبه الفلسطيني ، ويتنديد به المتلاحق بكل يد ترتفع على إسرائيل وبعمليات المقاومة في المناطق المحتلة وبالاعتزاز باسرائيليه .

وكانت نوعية الكتاب العرب ، في غالبيتها ، تقدمية تؤمن بإمكانية التعايش بين الشعبين اذا انطلق الجانبان من الاعتراف بحقوق بعضهما البعض ، ومن ان التمسك بسيادة قومية واحدة مطلقة على فلسطين

ستبقى العلاقات العربية - الاسرائيلية في دائرة الدم . وان الارهاب العربي الذي يتحدثون عنه لا يجب ان يشغلنا بانظاهرة عن السبب . ان استمرار الاحتلال والتنكر لحقوق مليون انسان هو الذي يخلق المقاومة . لقد كان هذا الاجتماع الاول بين ممثلي منظمة الكتاب العبريين وبين مجموعة من الكتاب العرب بمثابة مواجهة فكرية شديدة الصراحة والمنف ساعدت الجانبين على الاعتقاد بجداها لان الاديب العبري ادرك حقيقة قضية الاديب العربي ، وان هذه القضية في جوهرها ، ليست المطالبة بتصريح سفر الى تل ابيب وبحرية شخصية . انها قضية شعب . «

المغرب

بوادر نشاط تعافي

مناظرة اتحاد كتاب المغرب عن « الفكر في القرن العشرين » ، وزيارة الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي ، وصدر مجلة « ٢٠٠٠ » : تلك كانت أهم الاحداث التي حركت الحياة الثقافية في المغرب خلال الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩٧٠ .

لقد تعود اتحاد الكتاب من قبل ، ان ينظم محاضرات ، وان يقيم امسيات شعر ، لكنها كانت تدخل في نشاطه العادية ، التي تقول فقط للذين ينسون : « ان هنا اتحاد كتاب » . لكن مناظرة الفكر في القرن العشرين التي استمرت من اخر يناير حتى النصف الاخير من مارس ، كانت شيئا آخر ، الى حد ان « دار الفكر » مركز الاتحاد التي كانت تشكو الفراغ دائما . فد اصبحت هذه المرة تضيق بالعدد الكبير من المثقفين . ذلك ان المناظرة اعدت جيدا ، واستهدفت طرح كثير من القضايا الحساسة للنقاش ، بمشاركة كوادر حزبية ، واساندة الجامعة ، ومثقفين واضحي الرؤية .

وقد كانت المناظرة تتعلق بنوع من المسح لكل التيارات المعاصرة في الادب والفلسفة والاقتصاد . . والايديولوجيات . وهكذا شهد المغرب عشر جلسات وخمسة عشر متحدثا وجهورا كبيرا ضاقت بدرجات كلية الاداب ، وكلية العلوم ، ودار الفكر ، وايضا مناقشات خصبة . وخلال هذه الجلسات كانت الموضوعات المطروحة متنوعة ، فهي الايديولوجية العربية (علل الفاسي - عبد الله ابراهيم) الى الاسلام والتيارات الايديولوجية (دكتور المهدي بن عبود - محمد الراضي) الى (الفومية والاممية) و (الماركسية والرجعية) الخ .

ثم وصل الشاعر العربي عبدالوهاب البياتي الى المغرب بدعوة من اتحاد الكتاب المغاربة . وبينما كانت فروع الاتحاد في طنجة ومراكش وفاس والدار البيضاء تسمع فقط خبر المناظرة صامتة ، اذا هي الان تتحرك وتجري اتصالات حتى لا يقع « احتكار » الشاعر البياتي لمدينة الرباط وحدها . فعلا فقد تحرك الاستاذ البياتي يمينا الى فاس ومكناس وطنجة ، ثم يسارا الى الدار البيضاء ومراكش . وشهدت هذه المدن ما يمكن تسميته بالمهرجان ، اذ ان حضور البياتي كان يبدو لهم احيانا تحديا كبيرا ، فالسلطات المحلية في بعض الجهات كانت تنظر بغير قليل من الاستياء الى هذه المظاهرات الفكرية ، بل ان سلطات مدينة مراكش وضعت كثيرا من العرافيل ضد اجتماع البياتي بمفتي المدينة ، لكن النتيجة كانت افضل ، لان الاجتماع تم ، واعطته صفة « السرية » هالة خاصة .

ومسح هذين الحدين جاءت مجلة ٢٠٠٠ (الفين) ، تستقطب العدد الكبير من الكتاب الشباب الذين ضاقوا بوصاية الفكر الرجعية ، وهي مجلة احدث مجرد خير صدورها ، وكذا بيانها العام الذي وزع في كل أنحاء المغرب ، ردود فعل مختلفة ، مقنعة احيانا وسافرة احيانا اخرى . وقد اوضحت المجلة في عددها الاول خطها العام ، فهي تأتي (لترفض التزييف الذي ملا حياتنا ، ولترفض الفكر الرجعي واوصيائه)

ذي بال . وقد يكون عنصر التهريج هو المطلوب الاول لدى المؤلف والممثل والمشاهد ، دون ان تعدم لحاحات من الجد بين الحين والحين . ويكون حقي الشبلي ظاهرة في التاريخ ... لها ايجابها ولها سلبيها .

واستمرت المحاولات التي لم تخرج يوما عن دائرة المحاولات ... ولكن لا بد للمسرح من ان يتطور لان البلد يتطور ويتقدم ويكثر فيه المثقفون ويزداد اتصاله مباشرة وغير مباشرة بالحضارة المسرحية العالمية .

وتولد فرق تتبعها فرق . واستطاعت فرقة المسرح الفني الحديث ان تكون مرحلة حاسمة ، فيكون لها اعضاء ناضجون مخلصون مجيدون ، ويكون لها جمهور يتنوقها ويتذوق المسرح خلالها - وليس هذا بالامر الهين .

ودخلت الميدان فرق أخرى ...

(٢)

ويتحدث الناس باعجاب عن مسرحية « المفتاح » ليويسف العائسي و « تموز يقرع النافوس » لعادل كاظم ... ويتحدثون عن اشياء أخرى ... وعن « البيت الجديد » .

ويتصل النتائج ، ويتمنى المرء لو اتسعت له الفرصة ليرى كسل معارض خلال العامين المنصرمين - في الاقل - فلا بد من ان يكون بين ذلك الكثير مما يستحق الذكر ويستثير الاعجاب .

(٣)

وتهيا لي ان اشهد - فيما شهدت - فرقة المسرح الفني الحديث وهي تقدم ثلاث مسرحيات ذات فصل واحد احداها غربية صرف هي « قصة الرجل الذي صار كلبا » وثانيها ايطالية عن بيراندو بمهارة نادرة وسميت « البستوكة » ، وثالثها عراقية عراقية : « ست دراهم » .

واذا كان الفرع بالنجاح كبيرا ، كان باقبال الجمهور عليها اكبر .

(٤)

ثم شهدت للفرقة نفسها « النخلة والجيران » قصة غائب طعمة فرمان (مسرحها وأخرجها قاسم محمد) وقد نالت من الاقبال مافاق المنظر . واكبر الظن ان الفرقة نفسها - وهي تعرف جيدا رصيدها لدى الجمهور - لم تقدر ذلك حق قدره ، فانها اذ أعلنت عنها خصصت لها خمسة عشر يوما (منذ ١٥/١١/٦٩) ، ولكنها لم تلبث ان مدت ومددت وبلغت الشهر وزادت يوما عليه - وليس هذا بالامر الهين في التاريخ .

ولو انها استمرت شهرين او اكثر لما تناقص جمهورها ولما خسلا كرسي في قاعاتها او مكان كرسي في ممراتها . ولو انها تنقلت في المحافظات لرأت من النجاح عجا .

قد نقول ان مجموع مسيرة « النخلة والجيران » لا يؤلف مسرحية متماسكة الفصول والمشاهد . وليكن ، ولكنك لاستطيع ان تقول انها لم تنجح وان المشاهدين برموا بأمر والممثلين قصفوا في أداء ...

واذا كانت المرأة العراقية قد خطت خطوات تذكر في التمثيل وانها مع ذلك بقيت احدى المشكلات الآتية في هذا الفن ، فانها في فرقة المسرح الفني الحديث ليست مشكلة ، وان خطواتها واسعة .. وعجيبة أحيانا . ولو كتب لك ان ترى زينب والرماح والزيدي وسليمة خضير ... في « النخلة والجيران » لاستكثرت على نفسك ان تكون في العراق ، ولاستغربت ان تستطيع المثلة العراقية ان تؤدي مثل هذه الادوار الصعبة اجتماعيا وعلى هذا المستوى من الدقة والجرأة ..

(٥)

ان فرقة المسرح الفني الحديث - او فرقة يوسف العائسي كما يعرفها الناس - مرحلة حاسمة في تاريخ هذا الفن في كثير من الوجوه . وان يوسف العائسي حدث مهم في بابها ، وقد يكون اهمهم

وهي تأتي « من اجل ايجاد ارضية صميمة » وهي تأتي لتؤكد ان « الارض التي يقف فوقها الانسان البسيط متحررة ومستقبلية وذات افق متسع فاهم مفتوح لكل الابداعات الانسانية » ، ثم انها اخيرا اذ تقرر الوفوف من التراث ككل موفقا تقديا تقرر « ان المبدع يتخطى التراث ولا يفرط فيه » .

وبذلك يطل عام ١٩٧٠ على المغرب ، ليشهد انعطافا جديا في حياته الثقافية والفكرية ، بعيدا عن « الانفلاق » و « الجمود » اللذين طبعا كل ماضيه .

(م)

من اسرة مجلة ٢٠٠٠ (الفين)

اذاعت اسرة مجلة ٢٠٠٠ البيان التالي :

نحس اليوم ، اكثر من كل الايام الاخرى القديمة ، اننا غرباء . تأتي مجلة (٢٠٠٠) من اجل ان يلتقي كل الغرباء في بيت واحد يضعون له ديكورهم بانفسهم يختارون له لونه بانفسهم . لا احد يفرض عليهم من الخارج ذوقه .

لكن هذه الغربية لانمني الانفصال بقدر ما تعني الرفض . ان غربتنا ايجابية . انها ترفض :

- التزييف الذي ملا حياتنا كناس يعيشون في المغرب ، يعيشون في الوطن العربي ، يعيشون في الدنيا الثالثة ، كناس يعيشون في العالم .

انها ترفض : العجالات المتبادلة ، التي تصنع كل هذا الوجود المزيف المتحكم .

- الثقافة الرجعية ، والفكر الرجعي المنفلق وتكتلانها ، والحاكمين باسمهما ، الذين يحاولون ان يصبفوا كل حياتنا بلون واحد ، هو لون جامد تقليدي متخلف وضد الحياة .

ولان عالمنا اليوم ، هنا ، هو واقع عمليا تحت سيطرة الفكر الرجعي ، والتزييف والتسلط ، فان كثيرا منا يحس الغربية ، يحس ان اخرين يخنقون صوته . لذلك نعلن عن اعتزامنا اصدار مجلة (الفين) ليس كشكل نهائي من اشكال الرفض ، بل كمنطلق وبداية لبحث جاد عن شكل عملي للرفض .

ولان غربتنا ايجابية ، فهي لاكتفي بالرفض السلبي العمدي ، انها تعلن ميلاد جيل اخر بمفهوم مغاير للحياة ، وللثقافة وللحياة . تعلن ميلاد (اطفال) اكبر من ان يظلوا تحت وصاية الفكر الرجعي . وتعلن هذه (الغربية) انها تعرف طريقها بدءا ، فهي تريد ايجاد ارضية صميمة . هي تؤمن ان اعماق هذا الانسان هنا ، متحررة في اصلتها متحررة في ايمانها ، ولذلك هي تبحث داخل صدق الانسان المغربي وصفاته واصالته ، بعيدا عن كل وصاية .

وتعلن هذه الغربية اخيرا . ان الارض التي يقف فوقها الانسان البسيط متحررة ومستقبلية وذات افق متسع فاهم مفتوح لكل الابداعات الانسانية .

وليس ضروريا ان تكون مجلة (٢٠٠٠) معبرة عن وجهة نظر معينة ، عن تيار ، لكن اسرتها تتجمع اساسا من خلال نقط ارتكاز جوهرية هي رفض التزييف ، والبحث عن الاصاله وعن الصدق والتفاعل مع كل التجارب الانسانية التقدمية الخلاقة .

السحيمي الخوري بوخزار

عن اسرة المجلة

العراق

نهضة في المسرح العراقي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

سار المسرح العراقي بطيئا بطيئا ، وهو اذ يسير لا بدل على شيء

ما فيه انصرافه الكلي وانسجامه التام مع مرونة وتواضع وسعة افق وتضحية ... وقدره على التطور - وذكاء ودهاء - من يدري ! وتستعد فرقة المسرح الفني الحديث لاعمال جديدة ... كما تستعد الفرق الاخرى ...

(٦)

ثم شهدت « قصر الشيخ » من تأليف صباح الزبيدي واخراج وجيه عبد الفتحي . وقد دلت المسرحية على تمكن المؤلف العراقي من ان يكون فنانا يطرق موضوعات اجتماعية او سياسية ويهدف الى اصلاح او ثورة من دون وعظ او خطابة ومن دون تدخل غشيم .. كان الامور جرت في الحياة كما تجري على المسرح ... والممثلون كأنهم الشيخ والسركال والفلاحون والكهوجى ... هم هم ظالمهم ومظلومهم .. ولو نزه المؤلف لغة الحوار من عدد من الالفاظ البفدادية او الصحفية مما لم يكن من بيئة شخوصه في « العمارة » لحقق درجة اخرى من النجاح .

وقد تقول ان المسرحية ليست عميقة . وليكن ، ولكنها ادت المطلوب منها ، وليست الفلسفة شرطاً في المسرح .

(٧)

واذا شئت « الفلسفة » دون ان تكون هذه الفلسفة معماة او ميتافيزيقية ، وشئت من الحياة والواقع والواقعية دون جفاف ودون افتعال رايتها عند نور الدين فارس الذي ألف - أحدث مآلف - « الغريب » ومثلتها فرقة مسرح اليوم في ١٩٧٠/٣/٢ باخراج جعفر علي فكانت خطوة في التأليف المسرحي اذ بقيت محافظة على فنيها ، وانها اذ ارتفعت عن الخطابة والرياضيات لم تقع في الفموض والابهام ولم تجر الفكرة فيها على الحركة والماطفة .

وذهب المشاهدون في تفسير « الغريب » مذاهب متعددة حتى قال قائل : ليست الغربية في « شدهان » - بطل المسرحية - ولا فى نفسه ولا في فكره ، انه رجل ثابت مقيم ، أليف طبيعي ، انساني ، ومثله - ومنه - صانع صاحب الفندق وصانع صاحب الفرن والالوف والملايين من الضائعين بسبب طهرهم .

ان الغربية خارج دائرة شدهان وخارج نطاقه ، انها في الاخرين ، في سارق قوت الاخرين ومستقل عرق العاملين ، انها في الظروف الخطا وفي القوانين التي تحمي الظلم وتتستر عليه .

واذا ، فان التفسير يجب ان يقع على الخارج ، على الشيء الغريب الشاذ وان شدهان - وامثال شدهان - هم الذين يبينون زيف الشذوذ ، وبغوضون دعائمه حيناً بالصبر ، وطوراً بالتعاون ، وتارة بالنضحية - وباللقاء في كل الاحوال .

وفسر آخر الغربية تفسيراً .. والمخرج تفسيراً .. وشدهان تفسيراً ... وللمؤلف نفسه تفسيره : « ان شدهان دلالة مكثفة ، وتعبير مركز لظاهرة الغربية التي هي بمثابة النتيجة الطبيعية والحتمية للعلاقات السائدة في مجتمع الاستغلال والتباين .. الغربية هي الانقسام عن المجتمع بسبب العلاقات الباطلة التي تسود ذلك المجتمع .. الا انها ليست قدراً أزلياً لا يمكن الخلاص منه ... »

والاختلاف الجزئي في التفسير من طبيعة الاعمال « الفلسفية » وهو دليل على ما يثيره المؤلف في نفوس المشاهدين من تفكير ونقاش ، وقد يكتشفون مالم ينتبه اليه المؤلف نفسه ... ولكنهم لا يختلفون فى الكلي ، وفي الدرس الذي تلقوه المسرحية في بيان الحق وفضح الزيف وفي الدعوة الى الثورة الى صف شدهان وجماعة شدهان من ابناء الشعب .

لا يمكن ان يختلف المشاهدون في ا كبار شدهان - هذا الغريب ان شئت - واكبار طبيئته ووفائه ونفسيته ، واكبار أمثاله من العامة الذين يأنفون الكسب الحرام ويأبون الخضوع للمآرب الرخيصة فيؤلفون بذلك احتجاجاً صارخاً على الباطل وثورته على الاستغلال .

ان غربة « شدهان » ايجابية ، وهي أسس سليم يرتفع عليه البناء ، وهي حجة دامغة على من يحسبون انفسهم « أشرفاً » بيدهم الامر والنهي ولهم البلاد يصلون ويجولون ويبيدهم المفايد يحللون ويحرمون .

وقد يختلف المشاهدون مع المؤلف في هذه الصغيرة او تلك ويلاحظون عليه هذا الامر الجانبي أو ذلك ، ولكنهم لا يستطيعون ان يبعدوا في ملاحظاتهم ، ولا يمكن ان يختلفوا في سمو الهدف وسلامة « الكل » ولا في ان « الغريب » مثل عال للنجاح الفني في مذهب الواقعية الاشتراكية في الادب العربي .

(٨)

كتبت « الغريب » وأكثر المسرحيات الاخرى بالعامية العراقية ولا شك في ان هذا يقوي من وقعها لدى مشاهديها العراقيين ، وان من هذه المسرحيات - مثل قصر الشيخ - ما تكون العامية فيه جزءاً لا يتجزأ من التأليف والتمثيل والاخراج . ولكن لا يستحيل ان تعرض هذه المسرحيات لغير العراقيين اذا ما زود المشاهدون بمفاتيح الاحداث - اما يحدث انك تتابع مسرحية في لغة لا تفهمها ولا تعرف منها شيئاً ؟ ومن المسرحيات ما يمكن ان تنقل الى الفصحى لانها لا تنقيد بالطابع المحلي ولانها مسرحية - فكرة ، وربما كان في مقدمة تلك المسرحيات « الغريب » ، حتى قال قائل انها يمكن ان تنقل الى لغة اجنبية دون ان تفقد من قوتها ومن مشاهديها .

(٩)

ويسهم التلفزيون العراقي في نشر الوعي المسرحي بتصويره هذه المسرحيات وتقديمها للناس فيهيء رؤيتها لمن لم يستطع رؤيتها ، ويهيء الرؤية الثانية لمن بقي في نفسه شوق ولم تسمح له ظروفه .

وقد تشهد المسرحية على شاشة التلفزيون أكثر من مرة ومرتين فما يتضاءل اهتمامك ولا تفتقر رغبتك ... فتدرك - بدليل جديد - ان الفن المسرحي في العراق قد حقق تقدماً ملحوظاً وانه ليبدأ احياناً هذه المسرحيات المستوردة من اقطار اخرى . وقد يرتفع بك اقتراح الى المسؤولين بان يصدروا جياد المسرحيات المتلفزة على سبيل التبادل او الاهداء بعد تزويدها بمفاتيح التفهيم .

(١٠)

ان جيل البناء المسرحي في العراق جاد في عمله طامح الى كثير من الاشياء وهو لا يكتفي بمعهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون ، ولا يكتفي بالمدد الطيب الذي حصل على ثقافته الوطيدة في الغرب والشرق وانما يجد للزيادة كمية وكيفية ، نظرياً وعملياً ...

وهو يسمى الان - ضمن منهج ما يمكن تحقيقه - الى اصدار مجلة فصلية تعكس نشاطه وتنقد آثاره وتنهض بالواجب وتغرب عن الرسالة .

(١١)

هذا ، وما زالت الفرق تستعد لتقديم تمثيلات جديدة ، انسر تمثيلات جديدة منها الموضوع ومنها الترجم ، ومنها العراقي ومنها العربي ومنها الغربي .. ومنها المرقق - ولا ادري لم غفلنا عن تعريق مسرحية فرنسية مثل « كنوك » .

الامل كبير في ان يتقدم المسرح العراقي اكثر واكثر - انه الان شيء يحسب له الحساب ويجدر بان يدخل الحديث عنه ضمن الحديث عن المسرح العربي في كل مكان : القاهرة ، تونس ... الخ

(١٢)

وبعد

فهذه كلمة عابرة أملاها خاطر مبتهج بما يرى مفتبط بما يسمع ، ولعلها تشير كتابنا للتعريف بمسرحنا الناهض تأليفاً وتمثيلاً واخراجاً ... واعداداً ونقداً ... فنا وتاريخاً ... ماله وما عليه .. وكل شيء .

علي جواد الطاهر

بفداد

من مراسل « الآداب » سامي خشبه
رودينسون في القاهرة ، أو :
تبادل المنافع بين الثنائيين !!

هذا هو الزائر الفيلسوف أو المفكر الثاني الذي يزور القاهرة في غضون شهر واحد أو شهرين بدعوة من مجلة « الطليعة القاهرية » تحت شعار إقامة الحوار المفتوح مع ممثلي اتجاهات فكرية مختلفة ومتنوعة والموضوع الاساسي الذي شغل رودينسون في محاضراته في القاهرة هو « الاسلام » : الحضارة الاسلامية ، ودور الاسلام بالذات باعتباره ديناً و اساساً ايديولوجياً لمؤسسات اجتماعية وسياسية واتجاهات فكرية وفلسفية في تكوين الحضارات والشخصيات القومية للشعوب التي آمنت به .

وفي رسالتنا في شهر فبراير (شباط) الماضي ، وضعنا فهمنا للمحاولة التي بذلها روجيه جارودي - الفيلسوف الماركسي . من خلال محاضراته التي القاها في القاهرة ، وقلنا انه كانت لوقفه دلالة ايديولوجية محددة ، او لنقل هدفا ايديولوجياً :: وهو انه كمفكر يعتمد منهج النقد المادي للتاريخ والاجتمع يحاول ان يعمد فهمه الخاص للظواهر التاريخية والحضارية والسياسية العامة التي تشارك الآن في تشكيل صورة العالم السياسية والحضارية وفي تغيير الأوضاع التقليدية لتلك الصورة . جارودي يرى ان تحرر الشرق ادى الى تنشيط امم وقوميات جديدة طرحت حلولاً فكرية وسياسية لمشكلاتها الحضارية والاجتماعية والسياسية - وهي حلول ذات منحنى اشتراكي ولكنها لا تؤصل جذورها في الفلسفة الماركسية بمثل ما فعل الروس والصينيون والاحزاب الشيوعية في الغرب حتى الان . و جارودي يسأل: لماذا حدث ذلك ؟ وما مفزاه التاريخي والسياسي والفلسفي ؟ وما الاضافة الفكرية التي تتضمنها هذه الظاهرة ؟ وهي اضافة يرى جارودي ان لا بد للماركسية من احتوائها والاستفادة منها لكي تظل قادرة على ان تدعو نفسها علم تطور المجتمع الانساني الحقيقي والعلمي، واداة تطويره النظرية ايضا .

وجارودي يطالب الماركسية بذلك - ويبدل هو محاولة معروفة في هذا السبيل - من خلال موقفه الواضح كمفكر ماركسي يعلن انتماءه المحدد الى حزبه (رغم تطورات وضعه في هذا الحزب) ويعلن في الوقت نفسه وجهة نظره في ضرورة انفتاح الفكر الماركسي - بانه الاصيلة نفسها - على فلسفات واتجاهات سياسية جذبتها التطور الاجتماعي والتاريخي في اوربا الغربية والعالم مرة اخرى الى مركز التأثير والتفاعل ؟ وهو ان فعل ذلك فهو بفعله دون شك - مساهمة منه في اثراء الفكر الذي ينتمي اليه اولاً ، ثم قياماً منه بواجبه كمفكر ومناضل ثوري ازاء الحركة الثورية في بلاده وفي العالم .

وقد كنت اوشك ان ابدأ هذا الحديث بسؤال عن مفزى الاهتمام بالاسلام وبالحضارة الاسلامية في الغرب ، وبين التيارات الفكرية التقدمية والمستنيرة بالذات . ولكن اذا كان هدف جارودي قد اتضح لنا ، فما هو هدف رودينسون الذي لا ينتهي الى حزب ويرفض ان يصنف ضمن تيار فكري ما ؟ في محاضراته الثانية « الماركسية والعالم الاسلامي » تحدث رودينسون عن نفسه ، وسناقش هنا حديثه بحثاً عن جواب لسؤالنا .

قال رودينسون عن نفسه انه ماركسي . ولكنه حاول ان يوضح كيف انه نوع خاص ومتفرد من الماركسيين . بل لقد اوضح بصراحة انه

يمتلك لنفسه ماركسية خاصة لا يشاركه فيها أحد (اي انها ماركسية ملاكي كما نقول عن السيارات الخاصة في مصر) . قال مثلاً - وهو في هذه النقطة محق من وجهة نظرنا او أننا نتفق معه . ان من الماركسيين من يعتقدون ان الماركسية اشبه بالآلة حاسبة نصفط على احد ازرارها بحثنا عن الحل الماركسي للأسرة ، فتخرج لنا من الناحية الاخرى الاجابة الصحيحة من وجهة نظر الماركسية . وكنا سنعتقد انه يعني ان الماركسية تقدم منهجاً علمياً للتفكير عن الباحث العلمي ان يستخدمه كأداة للبحث وليس كمصدر للنتائج ، كوسيلة لطرح الاسئلة وصياغة اجوبتها وليس كمورد دائم لاجابات جاهزة . ولكن رودينسون يعني شيئاً آخر تماماً . انه يعني انه ليست هناك ماركسية واحدة . كل واحد وله ماركسيته - وهو نفسه - رودينسون يعتقد ان كل هذه الماركسيات شرعية (ربما كان يقصد « صحيحة ») والمسؤولة على الترجمة ، والا فهن الذي استنزل القانون الالهي بشرعيتها ؟) ولكن رودينسون يقول « .. ولقد ا طرح السؤال حول اي الماركسيات هو الصحيح . لانني لا اعتقد ان هناك ماركسية صحيحة » وكتفي نحن اولا بالتساؤل : فما قول السيد رودينسون في ماركسيته هو ، صحيحة ام مخطئة ؟ . ثم كتفي ثانياً بمقتطف ناخذه من مقال الاستاذ السيد يس في مجلة « الكاتب » في فبراير ١٩٧٠ القاهرية تعليقاً على المحاضرة نفسها : « ففضية مثل قضية انقسام الماركسية من القضايا التي يمكن ان يثور بصددتها كثير من التساؤلات النقاش ، لعل اهمها: هل هذا الانقسام يتعلق بالاسس الرئيسية للنظرية الماركسية التي تعد بمثابة الركائز التي تنهض عليها كل التحليلات الجزئية التي تتضمنها ، ام هو - مع التسليم بصحة هذه الاسس - يتعلّق بالاختلافات - التي لا بد ان تحدث - في تفسير بعض الظواهر او المواقف او الحالات ؟ » .

الى هنا ونختلف مع الاستاذ السيد يس أيضاً ، فهو يعنى في « احراجه » للبروفيسور رودينسون حين يمضي فيطالبه بالتعريف « بالمذاهب » الماركسية المتعددة على سبيل الحصر ، والتعريف بواجبه الاختلافات بينها » . نختلف مع الاستاذ يس لان محاضرة رودينسون لم تكن تهدف الى معالجة هذا الموضوع اساساً فيما يبدو ، انما كانت تنوي ان تتحدث عن الدور الذي يمكن ان تساهم به الفلسفة الماركسية في دراسة العالم الاسلامي . حقا انه كان على الاستاذ المحاضر ان يحدد فهمه للماركسية - كما يراها وكما حدث فعلاً - ومن الواضح ان المحاضر تطرق الى موضوع آخر عالجه بنزق وخفة شديدة غير جديرة بمفكر وعالم (وهو موضوع انقسام الماركسية ، وشرعية انقساماتها وعدم صحة اي من هذه الانقسامات في الوقت نفسه) كأنما يكتفي بأن يعلن موافقته على ان ينقسم الماركسيون كما يشاءون، وعلى ان يخطئوا .. انه بمنحهم غفرانه لاطنائهم .. يمنحهم فقط حربة الخطأ ! .

والاستاذ رودينسون يوافق على ان يمنح صفة الماركسية لركبات عديدة من الافكار - لم يقل لنا مواصفاتها ولا كيفية اكتسابها ذلك الانتماء الفلسفي ، لم يقل لنا مثلاً : ان ما يسمى ماركسيا هو ما يطبق منهج التفكير المادي الجدلي بنفس العمق والنفاذ والشمول الذي طبق به المادي الجدلي الاول . وانه ليس مهما ان يكون ماركس نفسه قد اورد نصاً او خط حرفاً في الموضوع محل البحث والدراسة اولم يفكر فيه أصلاً ، وانما المهم هو ان يلتزم الفكر او الباحث - لكي يكون ماركسياً - بحركة الظاهرة التي يدرسها ومركباتها وقوانينها الداخلية الخاصة وارتباطاتها بالظواهر المحيطة بها وعلاقتها بالحركة الاكبر او الظاهرة الاشمل التي تتضمنها .. الخ .. الخ . وان هذه « المواصفات » ، او هذه الشروط فقط هي ما تمنح للباحث او للمفكر الحق في ان يدعى باحثاً علمياً ، مادياً جدلياً ، حتى ولو لم

يذكر اسم ماركس ، وحتى وان لم يستشهد بنص واحد من كتابات ماركس او انجلز ، او ... اي واحد من تلك السلالة !

ان ما يطلق عليه رودينسون صفة « ماركس » ، هو اي مركب فكري يداخله اي عنصر « ماركسي » . وبصرف النظر عن هذا التجريد البالغ الذي لا يضع اعتبارا لوحدة النظرة الفلسفية التي يعترف بنفسه بانها « شمولية » في حالة « المركب الماركسي » . (ولا نفهم حقا كيف يكون المركب الفكري شموليا وغير موحد النظرة والاساسي النظري في آن واحد ؟) . . بصرف النظر عن اساسها النظري ، وبصرف النظر عن رؤيتها الى موضوعات اساسية في الفلسفة الماركسية (هكذا فنوشك ان نساق الى مناقشة تقوم على نفس الاساس الذي طرحه رودينسون) ، اذ يريد المستشرق وعالم الاجتماع الفرنسي ان يسبق صفة الماركسية على كل من اقتنع مثلا بفكرة العلاقة الجدلية بين البناء التحتي والبناء الفوقي للمجتمع ، حتى ولو كان يبشر بان اصلاح التعليم ، ووسائل الاعلام يمكن ان يؤديا الى قيام مجتمع اشتراكي . ويصل رودينسون الى ان « كل هذه الحركات الايدولوجية (اي المركبات الفكرية) لديها رصيد من الافكار الشمولية تحوي شعارات ، وكذلك مواقف وقواعد للسلوك العملي . الخ وكل ذلك يتحد ، او بالاحرى يقدم كوحدة او كمجموع له وحدة متماسكة » . فاذا عدنا الى التساؤل عن نوع هذه الوحدة التي يمكن ان تقوم بين جزئيات ملفقة (او منتقاة) تكون فيما بينها « مركبا » فكريا ، فوجئنا برودينسون يسحب ظلا من الشك العلمي على كل الذين « يعتقدون اننا لا نستطيع رفع اي جزء صغير منها ، ففي ذلك ضياع الكل ، والكل متحد بالضرورة » . وقد يكون للاستاذ رودينسون الحق في شككه لو ان نظره الى هؤلاء الذين يعتقدون ان تماسك النظرة الكلية ووحدة مركباتهم الفكرية كانت نظرة صائبة . اننا نرى المسألة على النحو التالي :

١ - رودينسون يرى ان لكل واحد ماركسيته الخاصة .

٢ - كل من هذه الماركسيات مركب فكري له وحدة متماسكة ويتصف بالشمولية .

٣ - ليس من حق هذا المركب الشمولي ان يظل ثابتا ولا ان يرفض رفع اي جزء منه او استبداله .

ونسأل : أين وجد رودينسون هذا النمط الغريب من الماركسيين ؟ ونسأل أيضا : أين يكمن الخطأ الماركسي عن وجهة نظره ؟ في تحليل « الظاهرة الواقعية » من وجهة نظر المادية الجدلية ، أم في الاصرار على تحليل بعينه والثبات عليه مهما طرأ على الظاهرة الواقعية من تغيرات ؟ في الحالة الثانية لن يكون التحليل ماركسيا ، لانسه سيرفض النظر الى الواقع ودراسة تغيراته وحقيقته ، والحالة الاولى ليست سوى « شروع » في فهم الواقع والنفوذ بالوعي العلمي الى داخله لاضاعته واقامة امكانية السيطرة على « عملية » تغيره من خلال العمل الانساني وحده .

ورغم كل الخلط الغريب الذي وقع فيه رودينسون حين حاول ان يقدم اليينا صورة نظرية ومجردة عن ماركسيته ، فانه حين تحدث عن مشكلة « الايدولوجية » اصبح حقا « ماركسيا تقليديا » وهذا حكم نراه ضده وليس في صالحه ، فقد كان الاسلام له ان يكون متهسكا ، بدلا من ان يكون مجرد انتقائي او صاحب منهج مهجن ومخلوط .

فرغم العبارات الاولى ذات المعاني الزنبيقية التي لا تكاد تمسك من مثل : « الايدولوجية تبني حول اختبار او اكثر ، اختبارات وجودية » هذه العبارات التي تتضمن موقفا ينفي موقفه هو المعروف بصفته عالم اجتماع يؤمن بالاساس الاجتماعي للافكار وللمعرفة : يؤمن بقياس البناء الفوقي للمجتمع على اساس من بناء تحني يفرزه ويعكسه وان لم يتماثل معه او يتطابق ، وهي العبارات التي توحى بانها يخرج الايدولوجية عن اطار البناء الفوقي للمجتمع لكي يضعها في منطقة « انعدام » الوزن

الاجتماعي » ، منظرية اللاتائر بالواقع الاجتماعي وبالبناء التحتي السائد في المجتمع ، رغم كل هذا الا انه يصل الى القول بوجود « نواة ثابتة » او « جسم مقدس » وهذا هو التعبير الذي استخدمته ترجمة مجلة « الطليعة » : « هناك نصوص الاساس التي نرجع اليها » ، وهذه النصوص تبقى على حالها في رأيه رغم انه : « تبدأ عملية تطور كاملة تعدل وتفسر وتعيد التفسير وتحني ايدولوجية المنطق . . » . هاهنا يعود رودينسون كما قلت منذ قليل ماركسيا تقليديا : يؤمن بوجود نواة ثابتة من النصوص (وانا أزعم انه ربما كان يقصد القوانين الستة المشهورة للمادية الجدلية) ، الامر الذي يوحي بان لا يرى الفارق بين « الجسم المقدس » في ايدولوجية مثالية ، متعالية عن الواقع ، منزلة ، وبين ايدولوجية علمية نبعت بتأثير ومن خلال كشوف علمية رئيسية حاسمة ، وأصرت على ان تربط نفسها بتطور ونمو معرفة الانسان بالكون والمجتمع وبنفسه : إصرت على ان تربط نفسها بالعلم ذاته ، ونفت من الاصل انفصال الايدولوجية عن المعرفة ، وبالتالي فقد رفضت ان يكون لها « جسم مقدس » او « نصوص اساس » ، واكتفت فقط بان تكون منهج تفكير قابل للتعديل لكي يصبح اكثر دقة وكفاءة كلما تنوعت خبرات الناس ومعارفهم كيميا ، وكلما وقع تبدل كيمي في نظرهم الى الكون او المجتمع بناء على كشف او مجموعة من الكشوف العلمية الرئيسية ، بل اننا نزعم ان رودينسون لم ير الفارق بين ايدولوجية مثالية ذات مشغولية سياسية وبين ايدولوجية مثالية اخرى لا تشغل بالظاهرة السياسية الا باعتباط او بصورة عارضة . او غير مباشرة . لم تكف « النواة الثابتة » في ايدولوجية الكنيسة الكاثوليكية مثلا عن التغير تبعا لنمو وتغير وضهور مصالح هذه الكنيسة السياسية وارتباطاتها وثقلها السياسي . كان البابا هو خليفة الرب في الارض وهو الذي يمنح السلطة للملوك والباطرة تنازلا منه واستخداما لهم . وكانت هذه صورة واقعية بلفت ذروتها من الحملات الصليبية الكبيرة الاولى . وحينما ابتعدت هذه الصورة عن

في انتظار طائر العنق

لشاعر المقاومة

سميح القاسم

صدر حديثا

٢٠٠ ق . ل

علميا وان نرجع الافكار الى اصولها التاريخية والاجتماعية ، وان نظل في نفس الوقت مؤمنين بان القوانين العلمية لتطور المجتمع وارتباط تاريخ الافكار بتاريخ ذلك التطور ان هي الا نوع من « العلة الثانوية » التي نخضع ما تزال للعللة الاولى .

ما الذي كان يقصده رودينسون اذن ؟
ان يبرر لنا عدم تماسك نظريته الفلسفية وعدم وضوح انتمائه ؟
ام ان يعثر لنفسه على دعم شرقي لموقفه الفلسفي الثنائي الذي يصير على ان يسميه موقفا ماركسيا ؟ ام ان يساعدنا في العثور على ما يبرر ثنائيتنا التي نطمح جاهدين الى ان نفلسفها لكي نصوغ نظرية تسمح في نفس الوقت بامتزاج العلم والخرافة ؟ .

سامي خشبة

القاهرة

بَرَئَاكِرِ السِّيَابِ

قصائد

اخترها وقدم لها
أدونيس

طبعة ثانية

صدرت حديثا

الواقع واستقلت الدول - او استقل الملوك - عن سيطرة السلطة الزمنية للبابا ، خففت الكنيسة من سلطة رئيسها الروحية نفسها ، ولم يعد يوسع البابا ان يبيع السماء ولا الفران حينما لم يعد من حقه ان يضع التاج على رأس الملك أو أن يحرمه من النفوذ السياسي .

ليس من الممكن لابيدولوجية مثالية ان تتحول الى ايدولوجية مادية . ولكن رودينسون يرى انه من الممكن للمؤمن (وهو يستخدم كلمة « المؤمن » هنا كعادل لمعنى الفكر الغيبي او المثالية الغيبيية) ان يسلم بسيطرة القوانين العلمية على العالم الاجتماعي ، بمثل ما يسلم بسيطرتها على العالم الفيزيقي ، دون ان ينفي هذا عنه ايمانه ، او التزامه بفكر مثالي غيبي . وكان رودينسون قد قفز هنا من موضوع الايدولوجية الى موضوع علم الاجتماع الماركسي في محاولة لتوضيح ان لهذا العلم معنى واحدا هو : استبعاد التصورات التي تعتبر الافكار غير مشروطة وان لها تاريخا مستقلا ، واستبعاد التصور الذي يعتقد ان « الناس يتشكلون بالافكار فقط او يتصرفون بناء على الايدولوجيات التي يعتقدونها دون ان تؤثر على هذه الافكار اوضاع حياتهم العملية » . ورغم ما يبدو على هذا الكلام من انه ينتمي الى علم اجتماع المعرفة - كما اوضح ذلك الاستاذ السيد يس في مقاله المشار اليه ، فاننا نعتقد ان لهذا الكلام وجهه الآخر ، الوجه المتعلق ايضا بقضية الايدولوجية .

ان الفكر المثالي الغيبي الذي يشرع في الاقتناع بخضوع الافكار للواقع الاجتماعي وحياتة الناس العملية فانما يشرع في الانفصال عن غيبيته المثالية لانه سرعان ما سيصل الى محاولة لتطبيق نفس التصور التاريخي والاجتماعي عن الافكار على افكار بعينها متعلقة بالعالم الغيبي وبما وراء الطبيعة . وهو في هذه اللحظة اما ان يكمل انفصاله عن غيبيته المثالية ، واما ان يحاول التوفيق بين النزعتين المثالية والعلمية ، واما ان ينكص مستديرا الى الخلف ليعود الى نقطة انطلاقه . ونحن نزعمان رودينسون كان يحاول اغراءنا بالتوفيق بين النزعتين ، كان يحاول اقناعنا بان نحصل على مباحج النزعتين : ان نحلل الواقع الاجتماعي

هكذا انتصر الفيتكونغ

بقلم

رمون نياطي

« فقد » « الفيتكونغ » منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا ما يقرب من نصف مليون مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذين تلفت اعصابهم وانهاال عليهم اليأس .. ورغم ذلك ، صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم اكبر ، وبقدرة دفاعية أقوى حتى استطاعت أن توجه ضرباتها المتتالية في قلب العاصمة سايفون التي تنتظر الآن هجوما كاسحا عليها ...
« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومن جانب الولايات المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .
كتاب نحتاج اليه الآن ، لانه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاسترداد ارضنا المسلوقة ..

صدر حديثا

٢٥٠ ق ل